صديعُ العَصَا صَعْبُ المرامِ إذا انْتَحى
لِوَصْلِ امْرِىءٍ جُذَّتْ عليه الأَواصِرُ[١]

٧٦
بكاء

[الطويل]

أَإِنْ هتفَتْ يَوْماً بِوادٍ حَمامَةٌ
بَكيتَ ولم يَعْذِرْكَ بالجَهْلِ عاذِرُ[٢]

دَعَتْ ساقَ حُرٍّ بعدما عَلَتِ الضُّحى
فهاجَ لك الأَحزانَ أَنْ نَاحَ طائِرُ[٣]

تُغَنِّي الضُّحى والصُّبحَ في مُرْجَحِنَّةٍ
كِشَافِ الأَعالي تحتها الماءُ حائرُ[٤]

كأَنْ لم يكن بالغَيْلِ أَو بَطْنِ أَيكَةٍ
أَو الجِزْعِ من تَوْلِ الأَشاءَةِ حاضِرُ[٥]

---

(١) صديع: مقطوع، المرام: المرتجى، الهدف، جُذّت: قُطعت، الأواصر، واحدها آصرة: العلاقة، الرباط. إن تلك الجارية لا تحبّ الخير للمحبين، وهي تعمل على تفريقهم، فغايتها قطع العلاقة بين العاشقين، وهذا ما يسعدها ويفرحها.

(٢) يخاطب الشاعر نفسه لائماً، فإنَّك سرعان ما تبكي إن غنّت غناءَ شجياً يوماً حمامة فلست تجد من يعذرك ويجد لبكائك سبباً وجيهاً لجهله ما تعانيه.

(٣) مع الصباح الباكر استقبلته الحمامة ببكائها، فحرّكت لك شجونك وأحزانك من مكامنها.

(٤) مرجحنّة: متمرجحة، متمايلة. تلك الحمامة تتخذ لها مأوى في أعلى شجرة، أغصانها كثيفة وعالية، وهي تنتقل من فنن إلى آخر، تتمايل فرحة، والماء يجري متموّجاً تحتها ضاحكاً مرنّماً، على غير هدًى.

(٥) الغَيْل، بطن أيكة، الجِزْع، تَوْل الأشاءة: أسماء أمكنة. يخيّم السكون على المكان، وهي تنتقل من الغَيْل، إلى بطن الأيكة، إلى الجِزْع، إلى تَوْل الأشاءة، ولا يسمع في المكان إلّا صوت نواحها.

يـقـــول زيـــادٌ، إذ رأَى الـــحـــيَّ هَـــجَّـــرُوا:
أرى الـحـيَّ قـد سـاروا فـهـل أَنـت سـائِـرُ[١]؟
وإِنـــي وإِنْ غـــالَ الـــتـــقـــادُمُ حـــاجـــتـــي
مُـلِـمٌّ عـلـى أَوطـانِ لَـيْـلَـى فـنـاظِـرُ[٢]

٧٧
المؤمِّل الحائر

[الطويل]

أَلا مـا لـلـيـلـى لا تُـرى عِـنْـدَ مَـضْـجَـعـي
بِـلَـيْـلٍ ولا يَـجْـري بـذلـك طـائِـرُ[٣]
بـلـى إِنَّ عُـجْـمَ الـطَّـيْـرِ تَـجْـري إِذا جَـرَتْ
بِـلَـيْـلَـى ولَـكِـنْ لـيـس لـلـطَّـيْـرِ زاجِـرُ[٤]
أَزالَـتْ عَـنِ الـعَـهْـدِ الَّـذي كـان بـيـنَـنـا
بِـذي الأَثْـلِ أَمْ قـد غَـيَّـرَتْـهـا الـمَـقـادِرُ[٥]؟

(١) هو زياد بن كعب، ابن عمّ الشاعر. يخبر زياد ابن عمّه قيساً بأنَّ الحيّ قد تهيّأوا للرحيل، ويستعلم منه إذا أراد أن يرحل وراءهم.
(٢) فيردّ الشاعر بأنّه لاحق بهم، مهما تقادم العهد، وسيعمل على الوصول إلى ليلى، ولن يتوقّف عن البحث عنها في ديارها.
(٣) جميل أن يحلم المرء بمن يحبّ، ولقد غاب طيف ليلى عن الشاعر مستغرباً أنّه لا يزوره حتى في المنام ليعيش لحظة حبّ واهم، وحتى لا يبشّره الطائر بمجيئها، فينعش نفسه.
(٤) زجر الطير: حمله على الطيران. والحقيقة أن الطير الأعجم الذي لا يُحسن نطقاً قد يأتيني بخبر عن ليلى، ولكن لسوء الحظّ لا يوجد من يدفعه ليوصلني إليها.
(٥) ذو الأثل: اسم موضع. يتساءل الشاعر هل تحوّلت ونسيت العهد الذي أبرمناه بيننا في ذي الأثل أم أن الأقدار فعلت فعلتها فغيّرتها من ناحيتي؟